

الكشاف

أراد بالقوم المفتونين : الذي خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما نجا من عبادة العجل منهم إلا اثنا عشر ألفا . فإن قلت : في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقتة عشرين ليلة وحسبوا أربعين مع أيامها وقالوا : قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه " فإننا قد فتننا قومك " ؟ قلت : قد أخبرنا تعالى عن الفتنة المترقية . بلفظ الموجودة الكائنة على عادته . أو افترض السامري غيبته فعزم على إضلالهم غب انطلاقه وأخذ في تدبير ذلك . فكان بدء الفتنة موجودا . قرء : " وأضلهم السامري " أي وهو أشدهم ضللا : لأنه ضال مضل وهو منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة . وقيل : السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم : وقيل كان من أهل باجرما . وقيل : كان علجا من كرمان . واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا : قد أظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر .

" فرجع موسى إلى قومه غضيب أسفا قال يقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي " .

الأسف : الشديد الغضب . ومنه قوله E في موت الفجأة .
" رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر " وقيل : الحزين . فإن قلت : متى رجع إلى قومه . قلت : بعد ما استوفى الأربعين : ذا القعدة وعشر ذي الحجة . وعدهم أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذاك وأجمل حكي لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جملا " العهد " الزمان يريد : مدة مفارقتة لهم . يقال : طال عهدي بك أي : طال زمني بسبب مفارقتك . وعدهم أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الإيمان فأخلفوا موعدة بعبادتهم العجل " بملكنا " قرء بالحركات الثلاث أي : ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي : لو ملكنا أمرنا وخلينا وراءنا لما أخلفناه ولكننا غلبنا من جهة السامري وكيده . أي : حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعربناها منهم . أو أرادوا بالأوزار : أنها آثام وتبعات لأنهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب . وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ " فقذفها " في نار السامري التي أوقدها من الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي وقرء : " حملنا " فكذلك ألقى السامري " أراهم أنه يلقي حليا في يده مثل ما ألقوا . وإنما ألقى التربة التي

أخذها من موطيء حيزوم فرس جبريل . أوحى إليه وليه الشيطان أنها إذا خالطت . مواتا صار حيوانا " فأخرج لهم " السامري من الحفرة عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل . فإن قلت : كيف أثرت تلك التربة في إحياء الموات ؟ قلت : أما يصح أن يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات . وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة إذا لاقته تلك التربة جمادا أنشأه الله إن شاء عند مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع . فإن قلت : فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني إسرائيل وضللا ؟ قلت : ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين . ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق إبليس أعجب . والمراد بقوله : " فإننا قد فتنا قومك " هو خلق العجل للامتحان أي : امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم : " هذا إلهكم وإله موسى فنسى " أي : فنسى موسى أن يطلبه ههنا وذهب يطلبه عند الطور . أو فنسى السامري : أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر . " أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عكفين حتى يرجع إلينا موسى "